Issn:2572-0023

النشاط الثوري في الشرق الجزائري من خلال الصحافة والكتابات التونسية (1956-1962)

د/أبو بكر الصديق حميدي
جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

الملخص بالعربية :

كانت الثورة الجزائرية في الشرق الجزائري لها تأثيرا كبيرا على الدولة التونسية بسبب الترابط الوثيق بين الشعبين، وكانت الصحافة التونسية تعكس الواقع الطبيعي والاجتماعي والسياسي للثورة الجزائرية لما لها من تداعيات مباشرة على المحيط التونسي، ومن جهة أخرى شخصت الحالة الحرجة التي أحاطت بتونس من حيث: التعامل مع الأمر الواقع الذي فرضته الثورة الجزائرية على الأراضي التونسية سياسيا وعسكريا، ورصد الامتداد الاجتماعي والثقافي التضامني في عمق المجتمع التونسي، وكذلك التبعات التي أحرجت النظام التونسي الناشئ ،ومدى حضور القيم التحررية والتضامنية لدى النخب والساسة .

Résumé:

LA Révolution Algérienne dans l'est de l'Algérie a eu un impact significatif sur l'Etat tunisien en raison de l'interdépendance entre les deux peuples. EtLa presse tunisienne reflète la réalité naturelle, sociale et politique de la révolution Algérienne en raison de ses implications directes sur le développement politique tunisien. D'autre part, il a diagnostiqué la situation critique qui a eu en Tunisie en termes de: Faire face à la réalité imposée par la révolution Algérienne sur le territoire tunisien politiquement et militaire, et surveiller l'état de la solidarité sociale et culturelle dans la profondeur de la société tunisienne, ainsi que les conséquences qui a touché le régime tunisien Emergent.

المقدمة

نعتقد أن معركة التحرير في المغرب العربي كانت لها تداعيات مشتركة وعرفت مظاهر متعددة من التضامن السياسي والعسكري، وكانت الجارة تونس في مقدمة ذلك بحكم أنها كانت مركزا سياسيا وخلفية للقواعد العسكرية الجزائرية، وملجأ للجالية المهاجرة وممرا لحركة السلاح عبر حدودها. وقد كانت الصحافة التونسية تعكس الواقع الطبيعي والاجتماعي والسياسي للثورة الجزائرية لما لها من تداعيات مباشرة على المحيط التونسيوشخصت الحالة الحرجة التي أحاطت بتونس من حيث: التعامل مع الأمر الواقع الذي فرضته الثورة الجزائرية على الأراضي التونسية سياسياً وعسكرياً، ورصد الامتداد الاجتماعي والثقافي التضامني في عمق المجتمع التونسي، ومن جهة أخرى التبعات التي أحرجت النظام التونسي الناشئ، وكذلك موقف النخب التي تعتمد القيم المبدئية والتضامنية والتحررية .

ونعتقد أن الصحافة التونسية وخاصة صوت الجزائر العربية الشقيقة، وبعض الكتابات الأكاديمية التونسية، وكذلك ما حفظه الأرشيف التونسي حول هذا الموضوع هو غني بما يثري الكثير من الكتابات حول الثورة الجزائرية وخاصة في مرحلة العنفوان العسكري والسياسي أي مابين 1956. 1962.

ويعتبر ما سجلته الصحافة التونسية واحتفظ به الأرشيف التونسي زاخرا بالمادة الأولية حول الثورة الجزائرية وخاصة المناطق الحدودية، وامتازت بالتنوع من حيث الطابع التسجيلي أو التوثيقي أو الإعلامي حسب المواقف والتوجهات للقيادات والنخب الثقافية والسياسية. ولهذا أردت من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على هذا الموضوع ومعالجة الإشكالية التالية: هل كانت هذه المادة الإعلامية تعكس فعلاً مجريات الثورة التحريرية في الميدان وتنقل أخبارا واقعية؟ وما مدى تطابقها مع المصادر الأخرى؟ وكيف صورت لنا مختلف المواقف التونسية تجاه الثورة الجزائرية؟ فهل كانت تعبر عن قناعات وحدة تحررية مبدئية أم أنها ظرفية؟ وما موقع هذه النظرة لدى مختلف القيادات والنخب التونسية وتحديدا الصف القيادي الأول؟ كما أنه يمكننا التقرب من حالة التعقيد التي شهدتها الساحة السياسية التونسية إزاء الثورة الجزائرية وإلى أي حد استطاعت التوفيق بين مصالحها الوطنية وحقوق الجوار والتحرر؟

وبحكم أن الموضوع يعالج فترة حساسة من الثورة 1956 . 1962 فإن الإلمام به فيه شيء من الصعوبة ولذلك حاولت تبويب الموضوع إلى محورين كبيرين:

أولاً: أصداء الصحافة التونسية حول النشاط الثوري الحدودي.

ثانياً: بعض الكتابات الأكاديمية التونسية

وللإشارة أنني اعتمدت في هذا العمل على منهجية إخذ عينات في الدراسة وهما:

- عينة من الصحف التونسية العربية التي تتحدث عن الثورة الجزائرية وخاصة الشرق الجزائري

- عينة من الصحف التونسية الفرنسية المخصصة لمناصرة الثورة الجزائرية تحت عنوان صوت: الجزائر العربية الشقيقة.
- مواقف بعض النخب السياسية التونسية من النشاط الثوري الحدودي.
- عينتان من الدراسات الأكاديمية التونسية التي تناولت الملف الجزائري.

وقد اعتمدت على هذا التنويع بين الصحف المعربة والفرنسية والدراسات الأكاديمية لإيجاد مقاربة فيها معالجة تقترب من الموضوعية التاريخية وخاصة في المواقف التي تتعلق بالأشخاص وحول القضايا الكبرى والحساسة وخاصة عشية الاستقلال.

أولا / الصحافة التونسية والنشاط الثوري الحدودي في الجزائر:

إن الحديث عن الثورة في الشرق الجزائري وعلاقته بتونس لا يمكن أن نتصوره خارج الحيوية العسكرية والسياسية التي شهدتها المنطقة خلال المرحلة المدروسة، فقد كانت المعبر الرئيسي الذي تسلكه القوافل المحملة بالسلاح وهو ماحدى بالسلطة الفرنسية إلى استهلاك جهد وأموال واسعة لإقامة الأسلاك الشائكة والمناطق المحرمة والألغام المكثفة، وهذا يدل على النشاط العسكري المكثف بين الجزائر وتونس والمتمثل في حركة الجنود والأسلحة والقيادات السياسية والعسكرية للثورة.

ومن الطبيعي أنه مهما كانت درجة السرية التي تكتنف هذه التحركات فإن الصحافة التونسية بدون شك تلتقط الكثير من هذا النشاط السياسي والعسكري، كما أن القيادة الثورية الجزائرية من حين لآخر يمكن أن توظف بعض المعلومات لأسباب دعائية لصالح الثورة.

1. **جريدة صوت الجزائر العربية الشقيقة** : هذه الصحيفة التونسية كانت تصدر أثناء الثورة الجزائرية وتابعت مختلف نشاطاتها السياسية والعسكرية وحفظت لنا الكثير من معالم الثورة وخاصة ما تعلق بالنشاط الحدودي وحركة السلاح .

أ ـ الأهداف التي كانت محل هجوم من الثورة :

من خلال تتبعنا لعينات من الإعلام الثوري الذي كانت تمارسه هذه الصحيفة نقف على اهتمامها بالمراكز الاستعمارية المستهدفة من قبل الثوار مثل: مهاجمة ضيعات المعمرين والمحصول الذي جنوه خلال السنة وأخذ كميات كبيرة من القمح والماشية نحو المراكز وأماكن محددة، وأحيانا ذكر العمليات التي يقوم بها جيش التحرير داخل المدن ومهاجمة عمارات المعمرين مستغلا في ذلك المنافذ المناسبة لقنص الجنود الفرنسيين وخاصة في المدن التي عانت من تصرفات هؤلاء الضباط.

وعلقت الصحيفة أن هذا الوضع زاد من الرعب في الأوساط الاستعمارية وسخطهم من جراء تزايد الخوف حتى لدى الذين يحمونهم.[1] وهذه الظاهرة تكررت كثيرا وخاصة في المناطق الزراعيةضواحي القرارم وأوريسيا والركنية وعين ملوك وفج مزالة، وعين عباسة. وكانت هذه التهديدات بمهاجمة المعمرين والمزارع في موسم الحصاد وخاصة المحصول المجمع في المخازن وقطع آلاف أشجار العنب وحرق كميات من المحاصيل الزراعية أمرا يؤرق المعمرين بشكل مؤلم ودائم .

فضلا على أن هذه المناطق شهدت توترا كبيرا ومعارك وخسائر مادية معتبرة، وإجراء تفجيرات متعددة في محطات البنزين والحرائق المهولة بها .إضافة إلى تدمير السيارات العسكرية والواجهات الزجاجية، والكمائن التي تسبب الرعب في أوساط المعمرين[2] والهجمات المباغتةلتجمعات المزارعين الأوربيين وذكرت أنه في أحد المرات استهدفت منطقة تجمع بقذائف أودت بحياة 35 فرنسيًا.

وفي مناطق أخرى وخاصة الوسطى[3] ركزت على استهداف المراكز العسكرية والعمليات النوعية التي يقوم بها المسبلون في المدن وبعض الأحياء مثل: الهجوم الذي طال 5 مراكز عسكرية من طرف المسبلينوسيطرة المجاهدين على العديد من الأحياء والمدن نذكر منهم: المدية، العفرون، عين بسام، سوق الحد، الأخضرية. واعتبرت هذه العملية من المهام العسكرية الناجحة والمهمة. واستغلت كتائب المجاهدين الدعاية القوية في هذه المدن لقنص الفرنسيين الذي تخندقوا في المراكز والسكنات التابعة للمعمرين ولذلك تم الإعلان مساء 5 جويلية 1958عن استهداف واسع لحرق المساكن والسيارات ومحطات البنزين .[4]

وفي الحدود مع تونس كان الطرفان الفرنسي والجزائري على يقظة عالية ورغم ذلك كان العمل الفدائي يقوم بالمهام المنوطة به، وكانت قيادة القاعدة الشرقية حريصة على قطع أجزاء من أسلاك خط موريس وتفجير العربات القادمة للنجدة، وبالموازاة كانت هناك عدة عمليات كالهجوم على مراكز العدو القريبة من الحدود وهي فرصة للحصول على الغنائم من البنادق والذخيرة. والحرص على تعطيل المحطات الكهربائية التي تشغل الخط المكهرب .

ب ـ عرض عينات للمعارك والخسائر البشرية: نلاحظ أن هذه الصحيفة ركزت على رصد أهم المعارك والانتصارات واهتمت كثيرا جريدة صوت الجزائر الشقيقة في تونس بتطور الأحداث الجارية بالجزائر وخاصة الشرق الجزائري ومن أمثلة الأحداث التي أوردتها بتاريخ 06 جويلية 1958 هو ذكر أعداد قتلى المعمرين في نواحي باتنة

1 - La voix de l'Algérie sœur ,06juillet 1958 P 2.

2 - Op.cit.

3 - كانت أحياناً في معرض حديثها عن تطور الأحداث بالشرق الجزائري تتطرق لبعض المناطق ليست منه.

4 - La voix de l'Algérie, op cit P 3.

وسطيف وطولقة وأوراس النمامشة من طرف الثوار الأحرار على حد تعبيرها. وأضافت أن الوحدات المدفعية في برج الغدير وبوخضرة، وفي والخنقة قامت بمواجهة شرسة ضد العدو وقصف لوحداته وقتل 07 أشخاص، وجرح 14 شخصا في عين المكان، وتم حرق عربات العدو .[1] وفي ناحية مشونش وبسكرة وضواحي الأوراس كانت هناك أربعة كمائن جد خطيرة فقدت خلالها القوات الفرنسية أربعة ضباط، وثلاثة أعوان، وقتل وجرح 17 جنديا، ناهيك عن الأسلحة الهامة التي أخذت من المعركة وبالمقابل جرح ثلاثة من المجاهدين وسمتهم الجريدة ب: (trois combattants de la foi).

وفي الأوراس فقدت فرنسا 24 جنديا وجرح 14، قبل أن تعزز قواتها من الجيش، بينما عاد الجنود الجزائريون وفيهم 5 من المصابين وأحدهم متأثر جدا. وفي ناحية خنشلة قتل 24 جنديا فرنسيا، بينهم ضباط، وسبعة مصابين وغنم كمية من الأسلحة، واستشهد منا 3 وجرح 02.وبالمقابل وفي عدة نواحي من هذه الولاية عمدت السلطات الاستعمارية إلى إعدام 25 من الشيوخ والأطفال والنساء.

وفي ناحية قسنطينة تم تفجير قنبلة في مجمع استعماري تم القضاء على إثره على 4 فرنسيين بينهم ضابط وجرح 25 آخرين[2]،ولذلك عمدت السلطات الاستعمارية بهذه المناطق وتحديدا واد العنب إلى أعمال وحشية منها العثور على 20 جثة لجزائريين مدنيين قتلوا من قبل المجموعات الفرنسية .[3] وبعدها بثلاث أيام دارت معارك كبيرة واستطاعت قوات جيش التحرير في هذه المناطق أن تلحق خسائر مادية كبيرة بالجيش الفرنسي وأن تعزز من الاتصال.وفي ضواحي القل جرت معارك عنيفة وقصيرة خاضها المجاهدون فاضطرت القوات الفرنسية للاستنجاد وطلب الدعم. كما توغلت قوات جيش التحرير- المسبلون - les volontaires de la mort في مناطق بتيزيوزو[4] وقتل جنديين فرنسيين وجرح العديد .

وكانت الأصداء الأولى للمعارك التي جرت في المنطقة التي زارها دوقول (الأربعاء بني إراثن fort national) هي 40 بين قتيل وجريح وتدمير أربع سيارات. والملاحظ أن الجنود الفرنسيين كانوا معزولين في المعركة من حيث الاتصال وأن الطيران لم يستطيع الاتصال بتطور المعركة على أرض الواقع .وذكر المتكلم أنه كان بين المسبلين 7 مصابين منهم اثنين في حالة خطيرة.

1 - La voix de l'Algérie sœur ,06juillet 1958 P 1.

2 - Op.cit.

3 - Ibid.

4-كانت هذه الصحيفة تتكلم عن تيزي وزو بالشرق الجزائري جهلا أو إكمالا لسرد الأحداث.

وفي آخر عدد من شهر جويلية1958 كتبت جريدة صوت الجزائر العربية الشقيقة تحت عنوان: المعاك وخاصة في الشرق الجزائري القريب من تونس. وفي ناحية قريبة من هذه العملية تتحدث عن 18 قتيلا فرنسيا و11 جريحا وسقوط طائرتين فرنسيتين من نوع T6 وعدد معتبر من الأسلحة وبالمقابل نلاحظ أن عدد المجاهدين كان 06 فقط استشهد منهم 2 والثالث جريحا. [1]

وفي ناحية الوطاية وبسكرة وباتنة وخراطة ومسكيانة كانت معارك متفرقة وتكلمت عن أشرس المعارك في خنشلة ومشونش وتبسة،وفي جبل أحمر خدر بضواحي بسكرة التي رصدت فيها أن القتلى الفرنسيين بلغ 22 بينما استشهد إثنان فقط من جيش التحرير.

وفي رصدها لحصيلة المعارك التي دارت طيلة أربعة أيام ذكرت أن 120 فرنسيا قتلوا و50 جرحوا وغنم كميات كبيرة من الأسلحة، وإسقاط عدة طائرات وتدمير عدد من الآليات ولكن الملفت للانتباه أن الطرف الجزائري لم يفقد إلا 17 شهيدا وجرح8 ولذلك كان الثأر لهذه الخسائر هو لجوء السلطات الاستعمارية إلى إعدام عدد هام من السكان المحليين العزل والذين فاقوا 25 بين امرأة وطفل .[2]

ج . تحليل المضامين الصحفية:

وقد أتينا بهذه التفاصيل ومن أعداد مختلفة لهذه الجريدة حتى نقف على الكثير من التفاصيل والأرقام والأماكن والشواهد والأسماء التي واكبت الثورة من جهة، ومن جهة أخرى يمكن إجراء تحليل لهذه المعطيات وتسجيل عدد من الملاحظات .

❖ رغم أنها تصدر باسم الجزائر العربية الشقيقة فإن كثيرا من مصطلحاتها كانت تنطق باسم نحن، قمنا، فيالقنا، انسحبنا ... وفي هذه المصطلحات يدل على التبني الكامل لمجريات الثورة رغم أنها تصدر باسم الجزائر العربية الشقيقة.

❖ أن التفاصيل المكتوبة داخل التطورات العسكرية والإعلامية للثورة في مختلف ربوع الجزائر لا يمكن أن تكون إلا من خلال عارف بدروب الجزائر وتفاصيلها بل وعلى اتصال كامل بالتطورات الميدانية.

❖ أن ما يعرض من أحداث وخسائر تضع الجانب الفرنسي في موقع ضعيف جدا وهذا ليس من الغريب أن يكون في خانة الدعاية العسكرية والسياسية للثورة الجزائرية .وإن كانت الثورة في هذه المرحلة قد بلغت من التطور

1 - La voix de l'Algérie, le 30 juillet 1958, Op. cit P1.

2 - Op. cit P: 02

وفرض الأمر الواقع العسكري وتحقيق الكثير من الانتصارات ميدانيا، مما جعل المعارك تأخذ شكلا متنوعا: المراكز العسكرية، والحقول، ومحطات البنزين، والمعمرين ....

❖ الواضح أنه من العاملين في هذه الجريدة جزائريين يؤدون هذه المهمة. وهو نوع من العمل الدعائي الذي يمكنأن يؤدي رسالة ثورية بمنآى عن اليد الفرنسية في ظل استقلال تونس .

❖ أن المرحلة التي كانت تصدر فيها الجريدة كانت الثورة قد فرضت وجودها على الميدان وأن السجال العسكري بين فرنسا والمجاهدين صار حقيقة قائمة.

❖ كانت الثورة نشطة في مجال الدعاية الإعلامية حتى تعزز الجانب المعنوي لجيش التحرير، وتطرح مجريات الحرب ولا تجعلها حكرا على العدو .

❖ نستشف أن الثورة كانت تخوض الحرب الخاطفة حتى تتجنب حجم الخسائر.

❖ المهاجمة لأملاك المعمرين ومزارعهم .

❖ القيام بعمليات متفرقة ومتزامنة لتفريق قوى العدو .

❖ العمل المتواصل لقطع خطوط الأسلاك الشائكة في الحدود الشرقية .

❖ العمل على تأمين الجبهة الشرقية باعتبارها الشريان الحيوي للسلاح .

❖ وجود شبكة من الاستعلامات التي تقدم تفاصيل الأخبار ومجريات الحرب خلال الأسبوع.

❖ وجود عمل دعائي يستهدف التركيز على خسائر العدو الفادحة، وكسر المعنويات الفرنسية .

❖ العمل على إخفاء الخسائر الحقيقية للمجاهدين أمام أعين العدو.

❖ استعمال المعارك وسيلة لامتلاك السلاح الذي هم في أمس الحاجة إليه. وخاصة بعد وضع الأسلاك الشائكة .

❖ الذكر المتعمد والتفصيلي للجرائم التي يرتكبها العدو في كل مرة في حق المدنيين العزل وتحديدا الأطفال والنساء والشيوخ عقب كل معركة في أوساط سكان المنطقة حتى تظهر فرنسا عن حقيقتها أمام الرأي العام الوطني والعالمي.

وبالتالي أن الطرح الذي جاءت به صحيفة صوت الجزائر العربية الشقيقة كان يمثل بجدارة الطرف الذي يناصر الجزائر بلا حدود من خلال وصف الأحداث وتحليلها والربط بين مختلف القضايا، ويدل على أن الجريدة كان وراءها أطراف جزائرية على دراية واسعة بما يجري في ميدان الثورة التحريرية كما أنها كانت تركز على الشرق الجزائري والمناطق القريبة منه وكان المجال الحاضر فيها بقوة هو الميدان العسكري وخاصة الانتصارات التي حققها المجاهدون. وهي أقرب

إلى الإعلام الثوري الذي يواكب الحروب الكبرى بما حملته من تسجيل انتصارات وشحذ الهمم، وإظهار الوجه الأسود للاستعمار ونقاط الضعف فيه .

2. جريدة الصباح التونسية:

كانت جريدة الصباح التونسية تتابع التطورات الميدانية للثورة وبحكم القبضة الفرنسية التي لازالت في تونس كانت حذرة نوعا ما، ولكن رغم ذلك كانت تتمتع بجرأة في سرد الأحداث وتظهر ميلا كبيرا في الانتصار للثورة الجزائرية.

وفي هذا الإطار نأخذ عينات من هذه الجريدة في تعاملها مع الثورة وخاصة مع أحداث الشرق الجزائري، ففي أحد أعدادها الصادرة في أوت 1955 تتكلم عن الخط الحيوي الذي يقوم بتوريد الأسلحة نحو الجزائر.ولتمويه العدو والتستر على مصادر السلاح واستمرار تدفقه على الثورة، وبالمقابل تكريس قناعة لدى العدوأن السلاح لا يشكل عائقا بالنسبة للثورة، وفي الغالب تذكر الجريدة أن مصادرها في الحصول على المعلومة: المصالح الفرنسية، الاستعلامات الفرنسية، مصالح مقربة من فرنسا... وهو نوع من نشر الأخبار التمويهية المتعلقة بحركة السلاح .

وفي كثير من الأحيان تورد لنا معلومات عن أسماء تونسية وجزائرية تشترك في هذه المهمة، مثل تعاون الطاهر الحداد وخليفة الجنيدي ـ رئيس ودادية الطلبة الجزائريين بالزيتونة ـ على تهريب الأسلحة والعمل على التسهيل لحركة الثوار الجزائريين، بل وتجنيد العاملين لصالح الثورة وتسهيل مرور ممولي الثورة بالسلاح بين طرابلس والجزائر. وأوردت في هذا العدد أن جزائريًا يدعى جلال الأغا بن الصيد من تبسة الذي تم القبض عليه في محطة القطار وبحوزته أسلحة وذخائر كبيرة كانت متوجهة نحو الجزائر ويقف وراء هذه العملية بدون شك العديد من التونسيين .[1]

ورصدت هذه الجريدة العمل المتواصل لحركة السلاح على أيدي جزائريين وتونسيين وإيصالها إلى الحدود الجزائرية وخاصة في الجنوب الغربي لتونس ومن ذلك ما ألقت عليه مصالح أمن التراب التونسي ومصالح الاستعلامات على السيد بدر الدين بشير وبحوزته وبمنزله كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة متعددة الصنع، وعلى إثرها تم القبض على مجموعة من الجزائريين المتعاونين معه في هذه المهمة لنقل الأسلحة[2].

وأوردت أن العمليات العسكرية للمقاومين التونسيين صارت يومية وليست أعمالا معزولة وأنها استأنفت وهي تبدو في حالة من التنسيق مع الثورة الجزائرية والتخفيف من الضغط الحاصل عليها من خلال هذا النشاط وتفريق الجهود الفرنسية.[3]

1. تهريب السلاح، جريدة الصباح ، ع1123، 12 أوت 1955، ص 02.
2. تهريب السلاح، جريدة الصباح ، ع1254، 1956/1/21، ص 02.
3. بدون كاتب، العمليات العسكرية بتونس ،الصباح ، عدد 1290، 030/404/ 1956، ص 01.

وكانت جريدة الصباح وبحكم الأعداد التي اعتمدنا عليها في الدراسة خلال سنة 1956 فإنها حاولت نقل الأحداث في الميدان من خلال السرد والتظاهر بالحيادية والعرض المجرد، ولكن تتبع حيثيات الطرح تؤشر على التعاطف والدعم المعنوي. مع محاولة الاعتماد على المصادر الفرنسية في استعراض الأحداث والأخبار حتى تكون بمنآى عن أي اتهام أو متابعة من قبل السلطة الفرنسية التي كانت مازالت فيتونس. وهي نوع من طريقة عرض الأحداث وخدمة الغرض من خلال تحميل المسؤولية للآخر.

والملاحظ أن هذه الجريدة تنوعت بين سرد الأحداث، ومظاهر الدعم المعنوي والمادي وتطرقت إلى قضية حيوية وهي توريد السلاح، لأن المناطق الحدودية هي أصلا تشهد وضعا خاصا سواء من قبل الثورة التي أنشأت القاعدة الشرقية بها والتي يعتبر تمرير السلاح أهم مهامها، كما أن الحضور الفرنسي مستمر بهاوقمعه متواصل، فضلا عن المناطق المحرمة والأسلاك الشائكة .

ثانيا / بعض الكتابات الأكاديمية التونسية:

في هذه الدراسة حاولت تقديم نموذجين من العمل الأكاديمي ـ ماجستير ودكتوراه ـ وهما على التوالي: فاتن المشيشي، ضبط الحدود التونسية الجزائرية ــوحبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية 1954 ـ 1962. وكيف تعاملا مع ملف النشاط الثوري الحدودي .

في هذه المرحلة المدروسةبدا واضحًا التواصل والتنسيق بين الشعبين الجزائري والتونسي في قضية العمل الثوري ضد الاحتلال كضرورة تحررية وتضامنية مغاربية ودعم هذا التوجه العديد من القيادات التونسية وفي مقدمتهم صالح بن يوسف الذي تؤكد الكثير من المصادر على الدعم الكامل للثورة الجزائرية وخاصة قبل استقلال البلاد التونسية.وفي هذا الشأن المتعلق بنقل الأسلحة في مرحلة ما بعد استقلال تونس كان هناك تيارين كبيرين للمساعدة ونقل الأسلحة.

الأول: الجهة الرسمية الحاكمة في تونس التي تسهل للمشرفين الجزائريين من جيش التحرير على نقلها من طرابلس إلى الأوراس والنمامشة وكل الحدود الشرقية للجزائر والقائم على هذه العملية الجزائري: محمد الهادي. ويستعين بالمرشدين التونسيين لمعرفة المسالك والدروب، وتنقل بسيارات الجهات الرسمية أحيانا وبوسائل الشحن المختلفة إلى الحدود، وتسلك في الغالب طريق بن قردان قابس قفصة وقريان وصولا إلى بوشبكة.

والتيار الثاني: هم أنصار صالح بن يوسف، أو ما يسمون باليوسفيين والذين لهم قناعات منذ أمد بضرورة وحدة المعركة المغاربية، ومواجهة الاحتلال الفرنسي وأن الدعم للثوار في للجزائر واجب أخوي وتحرري[1]

1ـ حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية 1954 ـ 1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006 /2007، ص 210.

ففينوفمبر 1956 أفادت تقارير عن دخول قافلة من الأسلحة والذخيرة مكونة من ست مهاري تحت حماية رجال صالح بن يوسف عبر الحدود الليبية عبر خط الذهيبة ثم منطقة بني خداش .[1]

وعموما من خلال الصحف التونسية أو التقارير الفرنسية أو ما دونته الدراسات الأكاديمية التونسية أن الأسلحة الواردة إلى الثورة الجزائرية من مصر أو ليبيا يكون طريقها عبر الجنوب التونسي بواسطة القوافل ثم منطقة الجريد ،أما التي تصل بحرا تتوجه في غالبها بواسطة سيارات مدنيةوعسكرية نحو الكاف ثم تبسة، وهذا لا يعني أن جزء منها يأخذ وجهات متفرقة بما تقتضيه الحالة الأمنية على الحدود.

وإذا كان من بين الاتفاقات التونسية الفرنسية عدم تسرب السلاح للثوار الجزائريين فإن هذا الأمر لم يكن محل تطبيق لأسباب فرضتها القناعات والظروف، ولكن الثابت أن الحكومة التونسية كانت تقدم الدعم لجيش التحرير وإيصال الأسلحة، وفي هذا الإطار انعقد اجتماع في جانفي 1957 بين الصادق المقدم والطيب سليم ومن الجانب الجزائري توفيق المدني ولمين دباغين وتم الاتفاق على: تعهد الحكومة التونسية على إيصال الأسلحة إلى الحدود الجزائرية وتسليمها لمن تعينه جبهة التحرير، وأن تشرف على ذلك هيئة مشتركة لإيصالها، وضمان عدم تسربها للتونسيين، وتكون محل تطبيق حال مصادقة بورقيبة عليها.

ونتيجة لهذا المجهود التي تبذله جبهة التحرير في الخارج والمتاعب التي يتلقاها جيش الحدود في تمرير السلاح والمساعدة والتسهيلات التونسية تدفق السلاح بما يضمن تموين الثورة حتى أن الإحصائيات الفرنسية ذكرت أن السلاح الذي هرب فاق 500شاحنة، وكان للحدود الشرقية الضريبة العالية في تنفيذ هذا المخطط بما فرضته السلطة الفرنسية من خطوط مكهربة، ومناطق محرمة، وملغمة، وحرق قرى بأكملها.

وبدون شك أن الدعم والمساندة التونسية كانا حاضرين بمختلف الصور لصالح الثورة الجزائرية، وكانت الحدود التونسية والشرق الجزائري يشتركان في محطات كثيرة من الألم والمعاناة من قبل الاستعمار بحكم الحدود والنشاط الثوري العابر للحدود بالسلاح أو الرجال أو النشاط السياسي والإعلامي الدؤوب الذي صاحب هذه المحطات والقضايا .

وبعد استقلال تونس وجدت نفسها أمام خيار المصالح الوطنية وضغط السياسة الفرنسية التي تحاول توجيه الأمور وفق اتفاقية 20 مارس 1956 وفي كنف السياسة الفرنسية. ومن جهة أخرى أن الحكومة التونسية كانت تخشى التطورات التي تنجم عن الثورة الجزائرية لتمتد إلى التونسيين بحكم رغبتهم في شد أزر إخوانهم [2]، إضافة إلى الواقع

1 ـ حبيب حسن اللولب، المرجع نفسه، ص 318.

2- الحبيب بورقيبة، خطب، ج 2، كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1975، ص 222 .

الذي فرضته الثورة الجزائرية من تواجد للجنود والمتطوعين والأسلحة العابرة ومراكز التدريب واللاجئين الذين فاقوا 14000 لاجئ...دون أن ننسى التيار اليوسفي الذي يضغط بقوة لصالح الوقوف مع الثورة الجزائرية رغم المخاطر المحدقة .

ثالثا / النشاط الثوري الحدودي والموقف الحرج لتونس:

وإذا كانت الثورة الجزائرية قد رفعت درجة المواجهة مع فرنسا إلى أقصاها مما دفعها إلى إيجاد مخرج للمشكل التونسي والمغربي، وكان استقلال هذين البلدين إضافة داعمة للجزائر، بل حمل فرنسا بعد سقوط حكومة منديس فرانس، وتولي حكومة غي مولي في فيفري 1956 والتي أقرت منذ البداية التشدد العسكري حيال الثورة الجزائرية من خلال جملة من القرارات منها: إعطاء سلطات واسعة للمقيم العام بالجزائر، وحل المجلس الجزائري، وكان أهم قرار هو دعوة الاحتياطيين إلى الجيش(70 ألف في أفريل، و50ألف في ماي 1956)ورفع الخدمة العسكرية إلى 27 شهرا. وبهذه الإجراءات تضاعف الجيش الفرنسي بالجزائر إلى الضعف أي400ألف جندي ولهذه الإجراءات انعكاساتها على النشاط الثوري الحدودي مع تونس إضافة إلى الضغط السياسي .

وبذلك نقف على الموقف الحرج الذي وقعت فيه الحكومة التونسية بين مطرقة فرنسا ومصالحها القطرية من جهة، وضغط الثورة الجزائرية من جهة أخرى. ونعتقد أن هذا الأمر ازداد توترا بعد اكتشاف البترول الجزائري بالصحراء سنة 1956 وتوقيع الاتفاقية التونسية الفرنسية عن طريق: شركة النقل بالأنابيب بالصحراء في 30جوان 1958 لنقل البترول عبر التراب التونسي إلى ميناء الصخيرة. وهذا الأمر أزم العلاقات بين الطرفين وخاصة بعد أن استاءت جبهة التحرير من هذا الأمر وبلغت السلطات التونسية بذلك، وكتبت صحيفة المجاهد " الخبر المسموم " وأنه يمس بالوحدة الترابية للجزائر بناء على أطماع فرنسا في فصل الصحراء. مما دفع السلطات التونسية إلى سحب كل أعداد المجاهد وتوقيف مناضلين في أوساط الجزائريين بتونس وأزم الوضع وتهديد الثورة بمغادرة البلاد التونسية[1]. وإن كان هذا الأمر له ارتباطاته الأخرى المتعلقة بنوايا بورقيبة في المجال الصحراوي الحدودي مع الجزائر كما عبر عنه شخصيا ليصل إلى النقطة الحدودية 233 بدل 220 .[2]

الخاتمـة :

أن الصحافة التونسية كانت حاضرة إلى جانب الثورة الجزائرية على غرار الكثير من الهيئات والأطراف السياسية ويمكن تسميتها بالظهير الإعلامي للثورة، ومن خلال مادتها ومصطلحاتها فقد كانت تتبنى الفعل الثوري الجزائري

1- فاتن المشيشي، ضبط الحدود التونسية الجزائرية ـ دلالات التحيز الفرنسي ـ، مذكرة ماجستير ،جامعة تونس الأولى، ص 144. نقلا عن حربي محمد

2 - المرجع نفسه، ص 146.

صراحة ويدل على أن أطرافا من جيش التحرير لها يدا في تسويق المادة الإعلامية وتوجيهها من خلال الوقوف على مختلف المعطيات العسكرية والخسائر في عدة أماكن في آن واحد.

كما ركز عرضها على المعارك والخسائر وخاصة في الأوساط الفرنسية والتركيز على الروح الانتقامية والتنكيل بالمدنيين كورقة ضعيفة في المعادلة السياسية والعسكرية والضغط عليهم من أجل التخلي عن الدعم اللوجيستي والمادي والمعنوي للثورة.

أما من جهة الدراسات الأكاديمية التي حاولنا استعراض الرؤية التونسية من خلالها في هذا الموضوع فإن هذين النموذجين اللذين كانا محل الدراسة وهما رسالتا: ماجستير ودكتوراهفإنه ودون موارية كانتا متقاربتين في الطرح من حيث التعامل مع الملف الجزائري الذي كانت خيوطه ممتدة إلى تونس وشخصياتها ومواقف الأطراف المختلفة منها .

أما من حيث المحتوى فالباحثان ورغم الانتماء الوطني لكنهما تميزا بموضوعية عالية في تناول القضايا وتحديدا المواقف التي اتخذتها بعض الشخصيات اتجاه الملف الجزائري، وخاصة القضايا الحدودية، والتعامل مع الأحداث الحرجة التي وقعت فيها تونس بين الضغط الفرنسي والمخاطر المترتبة عنه من جهة وضغط الثورة الجزائرية والتواجد الميداني لها على أرض تونس من جهة أخرى .

وللتدليل على هذا التوجه فقد كانت هذه الواقعية حاضرة لدى الدكتور اللولب بحكم الموضوع المدروس حول المواقف المختلفة للنخبة السياسية وعلى رأسهما الحبيب بورقيبة وأنصار صالح بن يوسف بحيث أبرز التمايز في الطرح المبدئي بينهما، وكذلك الموقف الرسمي والبعد القطري الحاضر أكثر عند بورقيبة الذي حاول التوفيق بين الأبعاد والمصالح القطرية من جهة وضغط الثورة الجزائرية من جهة، أما صالح بن يوسف فقد كان الموقف المبدئي في الدعم هو الحاضر، وأن الواجب الديني والأخوة والجوار والتحرر هي خطوط أساسية في رسم معالم سياسة صالح بن يوسف تجاه الثورة الجزائرية .

وطبيعي أن تظهر مثل هذه الفروقات في هذا النوع من الملفات الشائكة والفترة الزمنية الحرجة التي شغلتها، مع معطيات الظروف التي تمر بها المنطقة من مخاطر، والقبضة الفرنسية التي تطرح أقسى الخيارات أمام العنفوان الثوري في الجزائر .وعدم استعداد فرنسا التخلي عنها ولهذا الخيار انعكاساته وضريبته على القطر التونسي الذي شكل بامتياز امتدادا ثائرا للشرق الجزائري من خلال التواجد العسكري للثوار وعمليات نقل السلاح المستمرة.وهذا الطرح المتقارب للكتابات الأكاديمية في موضوع واحد وحساس يؤشر إلى حقائق تاريخية، بسلبياتها وإيجابياتها .

وقد حاولت الوصول إلى نوع من التحقيق التاريخي بطريقة غير مباشرة من أجل المقارنة بين المادة الإعلامية التي واكبت الثورة على الحدود الجزائرية من خلال عينتين من الصحف من جهة وعينتين من الكتابات الأكاديمية المعاصرة

وكان التوافق كبيرا في تشخيص عدد من الأحداث والمواقف السياسية لبعض الشخصيات أمثال بورقيبة وصالح بن يوسف. ومن جهة أخرى أن حدة المعارك في الشرق الجزائري كان رد الفعل الاستعماري عليها بالانتقام من المدنيين في الجزائر والضغط على الحكومة التونسية.

مصادر ومراجع الدراسة

. الصحف المصدرية بالعربية:

1 . تهريب السلاح، جريدة الصباح، ع1123، 12 أوت 1955، ص 02.

2 . تهريب السلاح، جريدة الصباح، ع1254، 1956/1/21، ص 02.

3 . بدون كاتب، العمليات العسكرية بتونس، الصباح، عدد 1290، 1956/04/30 ص 01.

. الصحف المصدرية بالفرنسية:

4- La voix de l'AlgérieArabe sœur, 06 juillet1958 P1.

5- La voix de l'AlgérieArabe sœur, 06 juillet1958 P2.

6-La voix de l'AlgérieArabe sœur, 13 juillet1958 P1.

7-La voix de l'Algérie, op cit, P 3.

8- La voix de l'AlgérieArabe sœur, le 30 juillet 1958, op cit P1.

9- La voix de l'AlgérieArabe sœur, op cit P02

. الكتب:

10- الحبيب بورقيبة، خطب، ج 2، كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1975، ص 222 .

. الرسائل الجامعية:

1- حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية 1954 ـ 1962،أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 210.

12- فاتن المشيشي، ضبط الحدود التونسية الجزائرية ـ دلالات التحييز الفرنسي ـ، مذكرة ماجستير جامعة تونس الأولى، ص 144. نقلا عن حربي محمد.